الرد على الشبه المثارة حول حديث: فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم .

المبحث الأول: دراسة سند الأحاديث والشبهات عليها:

المطلب الأول: حديث عائشة: «هذا أوان انقطاع أبهري».

المطلب الثاني: حديث أم مبشر: «فإني لا أتهم غيرها».

المطلب الثالث: حديث أنس: «فما زلت أعرفها في لهوات النبي ﷺ».

مسألة: شواهد لحديث عائشة، وأم مبشر رضي الله عنهن.

المبحث الثاني: دراسة متون الأحاديث، والرد على الشبهات فيها:

المطلب الأول: ألفاظ الأحاديث، وبيان معناها.

المطلب الثاني: الرد على شبهة معارضة الحديث للقران.

المطلب الثالث: الرد على شبهة كون الابهر هو الوتين، وهل يعني ذلك تكذيب النبي ﷺ لنفسه.

المطلب الرابع: هل أَكَلَ النبيُ ﷺ من لحم الشاة في خيبر.

المطلب الخامس: تأثير السم بعد ثلاث سنوات.

المبحث الأول: دراسة سند الأحاديث والشبهات حولها:

المطلب الأول: حديث عائشة: « فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم »

أولاً: نص الحديث

عن عائشة ﵂: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**».

الحديث أورده البخاري(١) معلقاً(٢)، بصيغة الجزم، فقال: وقال يونس عن الزهري، قال عروة: قالت عائشة ﵂.

(١) الصحيح كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٦/ ٩ رقم: ٤٤٢٨)، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ (٧/ ١٣٩).

(٢) من أفضل من بين المعلقات في صحيح البخاري ابن حجر في الهدي حيث قال: " المراد بالتعليق ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد، وتارة يجزم به ك: قال، وتارة لا يجزم به ك: (يذكر)، فأما المعلق من المرفوعات فعلى قسمين: **أحدهما**: ما يوجد في موضع آخر من كتابه هذا موصولا. **وثانيهما**: ما لا يوجد فيه إلا معلقا، **فالأول**: قد بينا السبب فيه في الفصل الذي قبل هذا وأنه يورده معلقا حيث يضيق مخرج الحديث، إذ من قاعدته أنه لا يكرر إلا لفائدة، فمتى ضاق المخرج واشتمل المتن على أحكام فاحتاج إلى تكريره فإنه يتصرف في الإسناد بالاختصار خشية التطويل، **والثاني**: وهو ما لا يوجد فيه إلا معلقا فإنه على صورتين: إما أن يورده بصيغة الجزم وإما أن يورده بصيغة التمريض، **فالصيغة الأولى**: يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث، فمنه ما يلتحق بشرطه ومنه ما لا يلتحق، أما ما يلتحق **فالسبب في كونه لم يوصل إسناده**: إما لكونه أخرج ما يقوم مقامه فاستغنى عن إيراد هذا مستوفى السياق ولم يهمله بل أورده بصيغة التعليق طلبا للاختصار، وإما لكونه لم يحصل عنده مسموعا أو سمعه وشك في سماعه له من شيخه أو سمعه من شيخه مذاكرة فما رأى أنه يسوقه مساق الأصل، وغالب هذا فيما أورده عن مشايخه،..–ثم ذكر الامثلة– ولكن ليس ذلك مطردا في كل ما أورده بهذه الصيغة لكن مع هذا الاحتمال لا يحمل حمل جميع ما أورده بهذه الصيغة على أنه سمع ذلك من شيوخه، ولا يلزم من ذلك أن

يكون مدلسا عنهم، فقد صرح الخطيب وغيره بأن لفظ قال لا يحمل على السماع إلا ممن عرف من عادته أنه لا يطلق ذلك إلا فيما سمع، فاقتضى ذلك أن من لم يعرف ذلك من عادته كان الأمر فيه على الاحتمال والله تعالى أعلم.

وأما ما لا يلتحق بشرطه فقد يكون صحيحا على شرط غيره وقد يكون حسنا صالحا للحجة وقد يكون ضعيفا لا من جهة قدح في رجاله بل من جهة انقطاع يسير في إسناده قال الإسماعيلي قد يصنع البخاري ذلك إما لأنه سمعه من ذلك الشيخ بواسطة من يثق به عنه وهو معروف مشهور عن ذلك الشيخ أو لأنه سمعه ممن ليس من شرط الكتاب فنبه على ذلك الحديث بتسمية من حدث به لأعلى جهة التحديث به عنه قلت **والسبب** فيه أنه أراد أن لا يسوقه مساق الأصل.. —ثم أورد الامثلة على هذا القسم–، **والصيغة الثانية:** وهي صيغة التمريض لا تستفاد منها الصحة إلى من علق عنه لكن فيه ما هو صحيح وفيه ما ليس بصحيح على ما سنبينه فأما ما هو صحيح فلم نجد فيه ما هو على شرطه إلا مواضع يسيره جدا ووجدناه لا يستعمل ذلك إلا حيث يورد ذلك الحديث المعلق بالمعنى– ثم أورد حديث الرقية بفاتحة الكتاب– فهذا كما ترى لما أورده بالمعنى لم يجزم به إذ ليس في الموصول أنه ﷺ ذكر الرقية بفاتحة الكتاب إنما فيه أنه لم ينههم عن فعلهم، فاستفيد ذلك من تقريره.

وأما ما لم يورده في موضع آخر مما أورده بهذه الصيغة فمنه ما هو صحيح إلا أنه ليس على شرطه ومنه ما هو حسن ومنه ما هو ضعيف فردٌ إلا أن العمل على موافقته، ومنه ما هو ضعيف فرد لا جابر له...–ثم أورد الأمثلة– فهذا حكم جميع ما في الكتاب من التعاليق المرفوعة بصيغتي الجزم والتمريض وهاتان الصيغتان قد نقل النووي إتفاق محققي المحدثين وغيرهم على اعتبارهما وأنه لا ينبغي الجزم بشيء ضعيف لأنها صيغة تقتضي صحته عن المضاف إليه فلا ينبغي أن تطلق إلا فيما صح قال وقد أهمل ذلك كثير من المصنفين من الفقهاء وغيرهم واشتد إنكار البيهقي على من خالف ذلك وهو تساهل قبيح جدا من فاعله إذ يقول في الصحيح يذكر ويروي وفي الضعيف قال وروى وهذا قلب للمعاني وحيد عن الصواب قال وقد اعتنى البخاري رحمه الله باعتبار هاتين الصيغتين وإعطائهما حكمهما في صحيحه فيقول في الترجمة الواحدة بعض كلامه بتمريض وبعضه بجزم مراعيا ما ذكرنا وهذا مشعر بتحريه وورعه وعلى هذا فيحمل قوله ما أدخلت في الجامع إلا ما صح أي مما سقت إسناده والله تعالى أعلم أه كلامه وقد تبين مما فصلنا به أقسام تعاليقه أنه لا يفتقر إلى هذا الحمل وأن جميع ما فيه صحيح باعتبار أنه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا إلا النادر فهذا حكم المرفوعات وأما الموقوفات فإنه يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان في إسناده ضعف أو انقطاع إلا حيث يكون منجبرا أما بمجيئه من وجه آخر وإما بشهرته عمن قاله وإنما يورد ما يورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة فحينئذ ينبغي أن يقال جميع ما يورد فيه إما أن يكون مما ترجم به أو

وقد ذكر العلماء أن استعمال البخاري رحمه الله لصيغة الجزم فيما يعلقه يدل على صحة الحديث إلى من علقه، ذلك أنه لم يجزم بنسبته إلى قائله إلا لأنه مطمئن إلى ثبوته وصحته إليه.

ثم إن هذا الحديث قد وصله كلاً من: البزار، والاسماعيلي، والحاكم، والبيهقي، وابن حجر، وإليك بيان ذلك.

أخرجه البزار(١)، والحاكم(٢)-ومن طريقه البيهقي-(٣)، والاسماعيلي(٤)، وابن حجر(٥)، من طريق عنبسة(هو: بن خالد بن يزيد الأموي مولاهم)، عن يونس(ابن يزيد الأيلي)، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها به.

قال الحاكم عقبه: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري فقال: وقال يونس" ، ووافقه الذهبي.

واسناده صحيح لا غبار عليه، وله شواهد كثيرة سنذكرها بعد مناقشة الطعون على هذا الإسناد.

وقد حاول بعضهم الطعن(٦) في هذا الاسناد بعدة أمور منها:

مما ترجم له فالمقصود من هذا التصنيف بالذات هو الأحاديث الصحيحة المسندة وهي التي ترجم لها والمذكور بالعرض والتبع الآثار الموقوفة والأحاديث المعلقة نعم والآيات المكرمة فجميع ذلك مترجم به إلا أنها إذا اعتبرت بعضها مع بعض واعتبرت أيضا بالنسبة إلى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسر ومنها مفسر فيكون بعضها كالمترجم له باعتبار ولكن المقصود بالذات هو الأصل فافهم هذا فإنه مخلص حسن يندفع به اعتراض كثير عما أورده المؤلف من هذا القبيل والله الموفق" مقدمة فتح الباري لابن حجر (١/١٧- ١٩).

(١) مسند البزار = البحر الزخار (١٨/ ١٤٩ رقم: ١١٥).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦٠ رقم: ٤٣٩٣).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٩ رقم: ١٩٧١٧)، دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٧٢).

(٤) تغليق التعليق (٤/ ١٦٢ رقم: ٤٤٢٨).

(٥) تغليق التعليق (٤/ ١٦٢ رقم: ٤٤٢٨).

(٦) ممن تكلم على الاسناد وضعفه: أحمد الاقطش، في مقال له على هذا الحديث:

أولاً: تعارض الوصل والارسال: فقد قال القائل: "فقد رواه عن الزهري اثنان: يونس بن يزيد، وموسى بن عقبة. واختلفا: فوصل يونسُ السندَ، وأرسله موسى".

ويرد على هذا بعدة أمور:

- ليس صحيحاً أن موسى بن عقبة مخالفاً ومعارضاً ليونس، فموسى يرويه[1] عن ابن شهاب وجعله عن جابر ﵁، وبذلك يكون حديث ابن شهاب عن جابر شاهدا لحديث عائشة ﵂، وابن شهاب لم يسمع من جابر[2]، بل يروي عنه بواسطة.
- عند التعارض–لو سلمنا بوجوده– لابد من النظر في المرجحات، إذ أن من منهج أهل الفن وجود المرجحات والعمل بها عند وجود التعارض، وفي هذا الحديث لا يمكن أن نجعل موسى بن عقبة معارضاً لرواية يونس بن يزيد الأيلي، مع تفاوت مرتبتهما، فيونس أعلى رتبة من موسى مع ثقته وإمامته.
- أن لحديث عائشة ﵂ شواهد كثيرة، منها ما هو صحيح ومنها ما هو دون ذلك، فدل ذلك على ثبوت القصة، وأن عائشة لم تتفرد بها بل رواه غيرها من الصحابة ﵃.
- أن الزهري مكثر من الرواية، فقد روى الحديث عن أكثر من صحابي وبأكثر من طريق، وقد جمع رواياته محمد بن محمد العواجي في كتابه: "مرويات الإمام الزهري في المغازي" [3].

وبذلك يتبين وبما لا مجال فيه للشك أنه لا تعارض بين الروايتين وصلاً وارسالاً، مع أن التعارض منتفي تماماً إذ كل حديث يروى عن صحابي آخر.

ثانياً: من الطعون التي طعن بها في سنده:

"تفرُّد عنبسة بن خالد: وهذا الراوي كما قال ابن حجر: "صدوق"[1]، والبخاري لا يُخرج له منفرداً. قال ابن حجر: "أخرج له البخاري مقروناً بغيره"[2] اهـ، قال أحمد بن حنبل:

---

http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:http://majles.alukah.net/t٥٢٤٤٥/

(١) المغازي لموسى بن عقبة (ص:٢٥٥).

(٢) معالم السنن (٦٥٨/٤)، عون المعبود (٢٣١/١٢).

(٣) مرويات الإمام الزهري في المغازي رسالة علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص:٦٣٦).

"ما لنا ولعنبسة! أي شيء خرج علينا من عنبسة! مَن روى عنه غير أحمد بن صالح؟[٣] ".

اهـ وقال الساجي: "رَوى عن يونس أحاديث انفرد بها عنه". وهذا الحديث من جملتها، وقد حمَلَ البزّارُ وصْلَ الحديثِ على تفرُّد عنبسة.

والرد عليها كالتالي:

١- أن هذا النقل يدل على جرح عنبسة وعدم احتمال تفرده، مع إغفال بقية الأقوال، وفيها إفادة اختصاصه بيونس (ابن أخيه، عنده كتبه)، بل كانت عنده أصوله ونسخه، وتقديمه على بعض الرواة غيره مثل: الليث ووهب الله بن راشد، قاله الذهبي.

وابن حجر[٤]، وقال أبو داود: "عنبسة أحب إلينا من الليث[٥] "، كأنه يعني في يونس بن يزيد خاصة.

وكل هذا يشير إلى احتمال مفاريد عنبسة عن عمِّه يونس، ويدل عليه تصرف البخاري في تعليقه هذا الحديث عمَّن فوق عنبسة مجزومًا به في موضعين، وتبويبه في صحيحه بمفاده.

وإنما لم يسنده البخاري لأنه ليس على شرطه التام في الصحة، حيث أسند من روايات عنبسة ما توبع عليه فقط، إلا أنه علَّق هذا الحديث من مفاريد عنبسة، دلالةً على صحته -وإن لم يبلغ شرطه في صحيحه.-

وفي كون عنبسةَ يُتابع في عددٍ من الأحاديث عن يونس، ويونسَ يتابع في عددٍ من مرويات عنبسة عنه، ويخرج البخاري ذلك في صحيحه في هذا دلالة على كونه كان يضبط حديث يونس.

---

(١) تقريب التهذيب (٤٣٢/١).

(٢) تهذيب التهذيب (٢٧٧، ١٣٧/٨)

(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٤ رقم: ٢٧٧).

(٤) تاريخ الإسلام (٣٢٧/١٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٤ رقم: ٢٧٧).

(٥) تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٤ رقم: ٢٧٧).

وللتنبيه، فهذا لا يعني أنه ليس له أخطاء عنه، إلا أن الكلام في مفاريده التي لم يخالَف فيها، ولم يخالِف فيها من كان فوقه في الإسناد، ولم يكن فيها نكارة.

٢- أن حمل قول البزار: "وهذا الحديث لا نعلم رواه عن يونس إلا عنبسة" على أنه في وصل الحديث، وليس في كلمة البزار ما يدل على ذلك -فيما يظهر-[١].

ثالثاً: أن الزهري مدلس ولم يصرح بالسماع:

إذ يقول: " تدليس الزهري: وقد ذكره ابن أبي حاتم في كتاب المدلسين، ووضعه ابن حجر، في المرتبة الثالثة من المدلسين، وهم الذين لا يُقبل حديثهم إلاّ إذا صرّحوا بالسماع. وهو هنا لم يصرّح، بل قال: "قال عروة".

ومناقشة هذا الكلام من وجوه:

١- أنه لا يسلم كون عنعنة الزهري لا تقبل إلا إذا صرح بالسماع[٢] .

---

(١) الرد على هذه الشبهة من أحد المناقشين على منتدى الألوكة http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:http://majles.alukah.net/t٥٢٤٤٥/

(٢) ما ذكر عن تدليس الزهري **محل نقاش**، وقد بين ناصر الفهد في كتابه منهج المتقدمين في التدليس حال الزهري فقال: (ص:٨٤) "محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الحافظ ، الإمام ، لم أجد أحداً من المتقدمين وصفه بالتدليس ، غير أن ابن حجر ذكر أن الشافعي والدار قطني وصفاه بذلك، والذي يظهر أنهما أرادا الإرسال لا التدليس بمعناه الخاص عند المتأخرين ، أو أنهم أرادوا مطلق الوصف بالتدليس غير القادح . بمعنى أنه قد وقع منه أحياناً؛ لأن التدليس بمعناه الخاص منه قليل جداً بالمقارنة إلى مجموع رواياته ، ولنم يتردد أحداً من الأئمة في قبول روايته مطلقاً ، بل هو أحد أعمدة الحديث النبوي .

وقد حصر الأئمة ما رواه عمن سمع منه ما لم يسمع منه(٣) . ، وهو من أهل المدينة والتدليس لا يعرف في المدينة .

وسيأتي ذلك إن شاء الله في الكلام على أبي الزبير ، لهذا قال الذهبي عنه(٤) : (محمد بن مسلم الزهري الحافظ الحجة كان يدلس في النادر) اهـ ، فوصفه بندرة التدليس .

ثم إذا انتقلنا إلى المتأخرين وجدنا ما يلي :

١- قال العلائي:

٢- أن تدليس الزهري ليس بعلةٍ بهذا الإطلاق -على الصحيح-، وقد صحح له الأئمة مئات الأحاديث لم يصرح فيها بسماعه، وإنما يتوقف في حديثه لهذه العلة إذا ثبت تدليسه فيه.

٣- أنه على التسليم بكونه مدلسًا، فمن المعروف من قرائن قبول رواية المدلس: أن يروي عن شيخٍ له اختصَّ به وأكثر من حديثه، و(الزهري عن عروة) أوضح مثال على ذلك.

٤- ما ذكره من كتاب (المدلسين) لابن أبي حاتم، لا وجود له، فليس لابن أبي حاتم كتاب بهذا الاسم.

رابعاً: دعوى الانقطاع بين عروة وعائشة:

يقول صاحب الشبهة: " الانقطاع بين عروة وعائشة: فقد قال: "كانت عائشة تقول"، وعند البخاري: "قالت عائشة". وهذه الصيغة لا تدل على السماع، وقد نبّه الإمامُ

(محمد بن شهاب الزهري الإمام العلم مشهور به (أي بالتدليس) وقد قبل الأئمة قوله ((عن))) اهـ .

٢- ثم بعده ابن حجر وضع الإمام الزهري في (المرابة الثالثة) من مراتب المدلسين فقال(٦) :

(محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري الفقيه المدني نزيل الشام مشهور بالإمامة والجلالة وصفه الشافعي والدار قطني وغير واحد بالتدليس) اهـ .

فنجد أنهما اتفقا على أنه مشهور به ، ولم يذكره أحد من المتقدمين بذلك ، ثم وضعه ابن حجر في المرتبة الثالثة وهي:

(من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالمساع ومنهم من رد حديثهم مطلقاً ومن من قبلهما) اهـ .

ويعسر إثبات تدليس الزهري (التدلس الخاص) فضلاً عن أن يشتهر به ، وأما رد حديثه إلا عند ذكر السماع فلا أظنك تجد ذلك عند أحد من الأئمة المتقدمين .

بل إن ابن حجر رحمه الله خالف في ذلك المتأخرين أيضاً ، فإن العلائي وسبط ابن العجمي أيضاً في (التبيين في أسماء المدلسين) قد ذكرا أن الأئمة قبلوا قوله (عن) .

أحمد إلى هذه العلة الدقيقة. فقد قيل له: "إن رجلاً قال: عن عروة: قالت عائشة: يا رسول الله، و عن عروة، عن عائشة" سواء. قال: "كيف هذا سواء؟ ليس هذا بسواء"[1] . هـ

وقال ابن رجب: "وأما رواية عروة "عن عائشة عن النبي"، وعروة "أن عائشة قالت للنبي"، فهذا هو القسم الثاني وهو الذي أنكر أحمد التسوية بينهما. والحفاظ كثيراً ما يذكرون مثل هذا ويعدونه اختلافاً في إرسال الحديث واتصاله، وهو موجود كثيراً في كلام أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم والدارقطني، وغيرهم من الأئمة"[2].اهـ

والرد على هذه العلة كالآتي:

١- أن الكلام المنقول عن الإمام أحمد رحمه الله مقتطع من سياقه الصحيح، فكلام الإمام أحمد إنما كان في قضية أخرى، ولا يصح الجمود على ظواهر الألفاظ، بحيث إنه كلما جاء: (قالت عائشة) جعلناه منقطعًا! بل العبرة بما يفيده اللفظ ويعطيه من معنى.

الصيغ التي حكم عليها الإمام أحمد بالانقطاع –وبيَّن ذلك ابن رجب– هي :

عن عروة، قالت عائشة: يا رسول الله..

وعروة، أن عائشة قالت للنبي –ﷺ.

وهذا واضحٌ جدًّا في أن عروة يحكي أمرًا وقع في عهد النبي ﷺ، ويحكي قصَّة وحوارًا بين عائشة والنبي ﷺ، وهو أمر لم يدركه عروة جزمًا؛ فكان لأجل ذلك منقطعًا.

وعند مراجعة صيغ الحديث الذي بين أيدينا؛ نجدها :

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول:..

وقال عروة: كانت عائشة رضي الله عنها تقول: كان رسول الله –ﷺ يقول:..

وعن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان يقول في مرضه –تعني: النبيَّ ﷺ.

---

(١) الكفاية في علم الرواية (٢/٤٨٤)، وقد ورد النص في مسائل أبي داود للإمام أحمد بصيغة: "سمعت أحمد، قيل له: إن رجلا، قال: عروة، أن عائشة، وعروة، عن عائشة، قالت: يا رسول الله، وعن عروة، عن عائشة، سواء؟ فقال: كيف هو سواء؟ ! أي: ليس هو بسواء" وهناك فرق بين ما نقلة وبين هذا النص. مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص: ٤٢٧ رقم: ١٩٧٨).

(٢) شرح علل الترمذي (١/٣٨٠).

وكل هذه الصيغ صريحة في تحمل عروة عن عائشة، وتحمل عائشة عن النبي ﷺ، وذلك صحيح متصل.

ثم إن النص الذي نقله عن الكفاية موجود في مصدر أصيل بصيغة غير هذه الصيغة؛ ففي مسائل الإمام أحمد قال أبو داود: سمعت أحمد، قيل له: "إن رجلا، قال: عروة، أن عائشة، وعروة، عن عائشة، قالت: يا رسول الله، وعن عروة، عن عائشة، سواء؟ فقال: كيف هو سواء؟ ! أي: ليس هو بسواء"(١).

والفرق واضح بين النص الذي استشهد به الأخ وبين ما هو موجود في المسائل، وبذلك اختلف المعنى بالأمرين معاً:

- نقل النص بصورة غير صحيحة توحي بمعنى آخر غير مراد من قائله.
- فهم النص على غير ساقه الذي ورد فيه.

فما فهم من عدم الاتصال في الرواية غير وارد البته.

خامساً: رواية يونس بن يزيد عن الزهري.

شُكِكَ في رواية يونس عن الزهري فقال أحدهم: "رغم أنه يعد الراوي الثاني لحديث الزهري فإن أهل الجرح والتعديل قد عابوا عليه منكراته عن الزهري، فيقول ابن حجر: "وقال أبو زرعة الدمشقي سمعت أحمد بن حنبل يقول فى حديث يونس عن الزهرى منكرات... وسئل أحمد من أثبت في الزهري قال معمر قيل فيونس قال روى أحاديث منكرة".

والناظر إلى هذا النقل يجد البتر والانتقاء الواضح لكلام العلماء رحمهم الله، فضلاً عن عدم معرفة بالفن وجمع الاقوال في الراوي الواحد.

وإليك أقوال العلماء في يونس بن يزيد حتى يتبين لك أن هؤلاء المشككين إنما يتمسكون بسراب، قال يحيى بن معين: أثبت الناس في الزهري مالك بن انس، ومعمر، ويونس، وعقيل، وشعيب بن أبي حمزة، وابن عيينة"(٢).

---

(١) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص: ٤٢٧: ١٩٧٨).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٢٤٨).

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن مَعِين: يونس أحب إليك أو عقيل؟ فقال: يونس ثقة وعقيل ثقة نبيل الحديث عَن الزُّهْرِيّ. قُلْتُ: أين يقع، يعني الأَوزاعِيّ – من يونس؟ فقال: يونس أسند عَن الزُّهْرِيّ، والأَوزاعِيّ ثقة ما أقل ما روى الأَوزاعِيّ عَن الزُّهْرِيّ.[١].

وقال يعقوب بْن شَيْبَة، عَن أحمد بن العباس: قلت ليحيى ابن مَعِين: من أثبت معمر أو يونس؟ قال: يونس أسندهما وهما ثقتان جميعا، وكان معمر أحلى[٢].

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: معمر ويونس عالما بالزهري[٣].

وقال أحمد بن صالح المصري: نحن لا نقدم في الزهري على يونس أحدا. قال: وكان الزهري إذا قدم أيلة نزل على يونس، وإذا سار إلى المدينة زامله يونس[٤].

وقال المزي: "وصحب الزهري ثنتي عشرة سنة، وقيل أربع عشرة سنة"[٥].

قال الذهبي: " وصحب الزهري ثنتي عشرة سنة – وقيل: أربع عشرة – وأكثر عنه، وهو من رفعاء أصحابه"[٦]

هذا هو وصف الأئمة كابن معين وغيره ليونس بأنه عالم بالزهري، وأنه أسند الرجلين عن الزهري، إلا أنه استنكر بعض الأئمة على يونس وهمًا قليلاً في حديثه عن الزهري، لكن هذا القليل يغتفر في جانب الأغلب الأعم، ولا يجعل روايته ساقطة بالكليَّة إذا حدَّث عن الزهري، كما يرمي إليه البعض.

فمن ذا الذي يسلم من الوهم والخطأ، مهما علا كعبه في العلم والحفظ ؟!!

---

(١) تاريخ ابن معين – رواية الدارمي (ص: ٤٥ رقم: ٢١).

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٢/ ٥٥١ رقم: ٧١٨٨).

(٣) الجرح والتعديل (٩ / ١٠٤٢).

(٤) الجرح والتعديل:(٩ / الترجمة ١٠٤٢).

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٢/ ٥٥٣ رقم: ٧١٨٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩٧ رقم: ١٢٦).

ولو سلَّمنا أن البخاري تفرد بإخراج هذا الحديث -ولو تعليقًا بصيغة الجزم-، فهو الجبل الثقة الذي إليه المنتهى في التثبت، فإذا لم يقبل تفرد البخاري بإخراج حديث ما، فمن يقبل؟!

المطلب الثاني: حديث أم مبشر ¢.

أولاً: نص الحديث

عن أم مبشر ﵂، قالت للنبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ما يتهم بك يا رسول الله؟ فإني لا أتهم بابني شيئا إلا الشاة المسمومة التي أكل معك بخيبر، وقال النبي ﷺ «**وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك، فهذا أوان قطعت أبهري**».

تخريج الحديث:

الحديث مداره على معمر عن الزهري، واختلف فيه على الزهري:

فرواه أبو داود[1]، والحاكم[2]، من طريق ورباح بن زيد، عن معمر ، عن الزهري، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب، عن أبيه، عن أم مبشر ﵄ به ، فجعله عن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب عن أبيه.

ورواه عبد الرزاق[3] من طريق معمر عن الزهري عن ابن كعب بن مالك، عن أم مبشر، فجعله عن أم مبشر مباشرة.

وقد جاء عند أبي داود في إحدى رواياته، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أمه أم مبشر، فجعله عن أمه عن أم مبشر، لكنه رجح عن أبيه، فقال: " قال أبو سعيد بن الأعرابي: كذا قال: عن أمه والصواب عن أبيه"[4].

وأخرجه أبو داود[5]، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه، أن أم مبشر فذكره.

وابن كعب بن مالك هنا يحتمل أن يكون عبدالله ويحتمل أ، يكون عبدالرحمن، فهل سمع منهم الزهري.

---

(١)

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢٤٢).

(٣) المصنف لعبد الرزاق (١١/ ٢٩ رقم: ١٩٨١٥).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ١٧٥ رقم: ٤٥١٤).

(٥)

وسواء كان عبدالله أو عبد الرحمن فإن الزهري قد سمع منهما[1].

وقد طعن فيه بعضهم بعدم سماع الزهري من عبد الرحمن بن كعب بن مالك، والصواب أنه سمع منه قال ابن عبد البر: "حديث أول لابن شهاب ، عن ابن كعب بن مالك.

مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أنه أخبر أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله – ﷺ – قال : «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**».

لم يختلف عن مالك في هذا الحديث ، ومن أفضل من رواه عنه المعافى بن عمران حدثنا خلف بن قاسم حدثنا أحمد بن عبيد بن أحمد بن سعيد الصفار حدثنا الحسن بن علي الضبي، حدثنا المعافى بن عمران، حدثنا مالك، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أنه أخبره، أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله –ﷺ– قال : «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده**» .

وفي رواية مالك هذه بيان سماع الزهري لهذا الحديث من عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، وكذلك رواه يونس ، عن الزهري قال : سمعت عبد الرحمن بن كعب بن مالك يحدث ، عن أبيه أن رسول الله –ﷺ– قال : «**إنما نسمة المؤمن ، وذكر الحديث**» .

وكذلك رواه الأوزاعي ، عن الزهري قال : حدثني عبد الرحمن بن كعب .

ورواه محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن فضيل ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك (عن أبيه فاتفق مالك ، ويونس بن يزيد ، والأوزاعي ، والحارث بن فضيل على رواية هذا الحديث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه .

ورواه شعيب بن أبي حمزة، ومحمد بن أخي الزهري، وصالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك، فاتفق هؤلاء على أن جعلوا الحديث لعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن جده كعب بن مالك .

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٥/ ٤٧٣ رقم: ٣٥٠١)، (١٧/ ٢١٦رقم: ٣٨٧٠)،.

ذكره إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أنه بلغه أن كعب بن مالك كان يحدث

وذكر أبو اليمان حدثنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله -ﷺ- مثل حديث مالك سواء .

ورواه معمر، وعقيل، وعمرو بن دينار، عن الزهري، عن ابن كعب لم يقولوا عبد الله، ولا عبد الرحمن، ذكره عبد الرزاق، عن معمر، وذكره الليث، عن عقيل، وذكره ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الزهري كلهم، عن ابن كعب بن مالك في حديث نسمة المؤمن كل هذا، وقال محمد بن يحيى : المحفوظ عندنا – والله أعلم – هذا، وهو الذي يشبه حديث صالح بن كيسان ، وشعيب ، وابن أخ ابن شهاب .

قال أبو عمر :

لا وجه عندي لما قاله محمد بن يحيى من ذلك، ولا دليل عليه، واتفاق مالك، ويونس، والأوزاعي، ومحمد بن إسحاق أولى بالصواب، والنفس إلى قولهم وروايتهم أميل وأسكن، وهم في الحفظ والإتقان بحيث لا يقاس عليهم غيرهم ممن خالفهم في هذا الحديث، وبالله التوفيق"[(١)] ا.هـ

وبهذا يتبين صحة سماع الزهري من عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب.

وذكر بعضهم أنه حصل اضطراب من معمر في وصله وارساله، وهذا الكلام لا وجه له من عدة أمور، منها أن أبا داود قد رجع بينها وذكر أن الصحيح من معمر بعد التردد هو الوصل فقال: "وربما حدث عبد الرزاق، بهذا الحديث مرسلا عن معمر، عن الزهري، عن النبي صلى الله عليه وسلم: وربما حدث به عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، وذكر عبد الرزاق أن معمرا كان يحدثهم بالحديث مرة مرسلا فيكتبونه، ويحدثهم مرة به فيسنده فيكتبونه، وكل صحيح عندنا، قال عبد الرزاق: فلما قدم ابن المبارك على معمر أسند له معمر أحاديث كان يوقفها"[(٢)].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١١/ ٥٨).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ١٧٥).

فلا حجة لمن جعل تعارض الوصل والارسال مطعنا في الحديث، خاصة بعد ترجيح أبي داود.

ومن الإشكالات التي ذكرها بعضهم الانقطاع بين أم عبد الرحمن وأم مبشر، وهذا الاشكال لا يتوجه، فإن الصواب كما بينه أبو داود وذكره عن أبي سعيد الأعرابي هو عن أبيه، وليس عن أمه.

ومن الاشكالات على الحديث أن القصة الصحيحة هي قصة مرض كعب بن مالك، وليست مع النبي ﷺ.

ولا حجة لمن قال ذلك إلا أن القصة الاخرى وقتعت لأم بشر مع كعب بن مالك، وليس هذا بدليل على إعلال الرواية الأخرى من عدة وجوه، منها: أن القصة تكررت، وليس هناك ما يدل على تداخلهما على الزهري، الأمر الاخر أن صاحب الاشكال قد ضعف رواية ابن كعب بن مالك عن أم مبشر بدون أبيه سابقاً، ثم هو هنا يستدل بها لتضعيف حديث أم مبشر في قصتها مع النبي ﷺ، وهذا لا يستقيم، ويعد اضطراب في المنهج.

المطلب الثالث: حديث أنس: «فما زلت أعرفها في لهوات النبي ‘».

أولاً: نص الحديث

عن أنس بن مالك ﵁، أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها، قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

ثانياً: التخريج.

الحديث أخرجه البخاري[1] -واللفظ له-، ومسلم[2] ، من طريق شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس ﵁ به.

الحديث في أرقى درجات الصحة، فقد أخرجه الشيخان بطرق صحيحه.

والحديث شاهد على أن أثر السم بقي في النبي ﷺ لزمن، وسيأتي بيان ذلك في الكلام على المتن.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين (٣/ ١٦٣ رقم: ٢٦١٧).

(٢) صحيح مسلم كتاب السلام باب السم (٤/ ١٧٢١ رقم: ٢١٩٠).

مسالة: شواهد لحديث عائشة، غير ما سبق.

حديث أم سلمة:

عن ابن عمر ﵄ قال: قالت أم سلمة ﵂: يا رسول الله لا يزال يصيبك في كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت، قال: «**ما أصابني شيء منها، إلا وهو مكتوب علي وآدم في طينته**».

ثانياً: التخريج

الحديث أخرجه ابن ماجة[(١)]، والفريابي[(٢)]، والطبراني[(٣)]، وابن بطة[(٤)]، واللالكائي[(٥)] ، من طريق بقية قال: حدثنا أبو بكر العنسي، عن يزيد بن أبي حبيب، ومحمد بن يزيد المصريين، عن نافع، عن ابن عمر قال: قالت أم سلمة ﵂.

الحديث أعل بعلتين:

- بقية بن الوليد، فهو صدوق كثير التدليس عن الضعفا[(٦)]، لكنه صرح بالسماع.
- جهالة أبو بكر العنسي[(٧)].

والحديث ضعيف، لكنه يستأنس به، والحجة قائمة بغيره من الصحيح.

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١١٧٤ رقم: ٣٥٤٦).

(٢) القدر للفريابي (ص: ٢٦٧ رقم: ٤١٩).

(٣) مسند الشاميين للطبراني (٢/ ٣٦٦ رقم:١٥٠٧).

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣/ ٣٣٢ رقم: ١٣٦٠).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٦٨٠ رقم: ١٠٩٨).

(٦) تقريب التهذيب (ص: ١٢٦ رقم: ٧٣٤).

(٧) تقريب التهذيب (ص: ٦٢٥ رقم: ٧٩٩٨).

❖ **ومن الشواهد:**

حديث أبي هريرة، وجابر، وابن عباس ﵃:

أخرجها ابن سعد في الطبقات[1] ، وهي تشهد لحديث عائشة ﵂.

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٠١).

الخلاصة:

مما سبق يتضح أن حديث عائشة ﵂، حديث صحيح ثابت، لا منازعة في ذلك، روي بأسانيد صحيحة، وله شواهد أخرى من حديث أنس ﵁ في الصحيحين، وحديث أم مبشر ﵂، عدا عن الأحاديث الأخرى، الشاهدة له.

فكل هذه الاحاديث دالة على تأثر النبي ﷺ بالسم، وأنه كان يحس بألمه بين الفينة والأخرى، وقبل موته -ﷺ- كان له تأثير عليه، لكن الله عصمه من أن يفتك به عند أكله مع اللحم.

المبحث الثاني:

دراسة متون الأحاديث والرد على الشبهات فيها

المطلب الأول: ألفاظ الأحاديث، وبيان معناها.

"ما أزال أجد ألم الطعام": أجد ألم الطعام أي الألم الناشئ عن ذلك الأكل، لا أن الطعام نفسه بقي إلى تلك الغاية[1].

"انقطاع أَبْهَري" "بِفَتْح الْهمزَة وَسُكُون الْبَاء الْمُوَحدَة وَفتح الْهَاء "[2].

وقد اختلفت تفسيرات العلماء للأبهر:

فقيل: الوَرِيدُ فِي العُنقز.

وقيل: عِرْقاً مُسْتَبْطِنَ الصُّلْب.

وقيل: الأَبْهَرانِ الأَكْحَلانِ اللذان في الذراعين، وَفُلَانٌ شَدِيدُ الأَبْهَرِ أَي الظَّهْرِ.

وقيل: عِرْقٌ فِي الظَّهْرِ وَهُمَا أَبهران.

وقيل: الأَبهر عِرْقٌ مَنْشَؤُهُ مِنَ الرأْس وَيَمْتَدُّ إِلى الْقَدَمِ وَلَهُ شَرَايِينُ تَتَّصِلُ بِأَكْثَرِ الأَطراف وَالْبَدَنِ.

وذكر ابن منظور تفصيل جميل فيه فقال: " الأَبهر عِرْقٌ مَنْشَؤُهُ مِنَ الرأْس ويمتد إِلى الْقَدَمِ وَلَهُ شَرَايِينُ تَتَّصِلُ بِأَكْثَرِ الأَطراف وَالْبَدَنِ، فَالَّذِي فِي الرأْس مِنْهُ يُسَمَّى النَّأْمَةَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَسْكَتَ اللَّهُ نَأْمَتَه أَي أَماته، ويمتدُ إِلى الْحَلْقِ فَيسمى فيه الورِيد، ويمتد إِلى الصدر فيسمى الأَبهر، ويمتد إِلى الظَّهْرِ فيسمى الوتين والفؤاد معلق به، ويمتد إِلى الْفَخِذ فيسمى النَّسَا، ويمتد إِلى الساقِ فيسمى الصَّافِن"[3].

من قول ابن الأثير يتبين أن الأبهر والوتين متغايران ..

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٤٥).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/ ٦١).

(٣) ينظر: لسان العرب (٤/ ٨٣).

ونلاحظ شيئا آخر من قول ابن الآثير "الأَبْهَرُ عِرْقٌ مَنْشَؤُه مِن الرَّأْس ويَمْتَدُّ إلى القَدمِ ..." وهو أن الوتين قد يعتبر مجرد جزء صغير من الأبهر .. ولهذا السبب جاء في بعض القواميس أن الوتين قد يسمى أيضا بالأبهر .. وذلك باعتبار أنه جزء من الأبهر .. لكن العكس غير صحيح .. أي أننا لا يمكننا دائما القول عن الأبهر أنه الوتين .. فتنبه .. وبعبارة أخرى .. نحن عندما نتكلم عن الأبهر .. فلا يعني ذلك أننا لا نقصد إلا الوتين .. ولكن يمكن القول عن الوتين أنه أبهر

"السُّمْ": "بِفَتْح السِّين وَضمّهَا وكسرها ثلاث لغات الفتح أفصح جمعه سمام وسموم ، الَّذِي سمته تِلْكَ الْمَرْأَة فِي غَزْوَة خَيْبَر"[1].

"يهودية": هي زينب بنت الحارث، من يهود خيبر، قيل إنها اخت مرحب، وقد قتل اخوها وابوها، وهي زوج سلام بن مشكم [2].

"لهوات": اللَّهَوَاتُ فَبِفَتْحِ اللَّامِ وَالْهَاءِ جَمْعُ لهات بِفَتْحِ اللَّامِ، وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك قاله الأصمعي وقيل اللحمات اللواتي فى سقف أقصى الفم[3]

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٩)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/ ٦١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٩)، فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٨٦)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/ ٦١)،

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٩).

المطلب الثاني: الرد على شبهة معارضة الحديث للقران.

من الشبهة التي تثار على هذا الحديث أنها تعارض آيات من القرآن مثل قوله تعالى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة المائدة:٦٧].
- ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحاقة:٤٦].

ذلك أن الله تعالى تكفل بحفظه، وعصمته من الناس، وتأثره بالسم مخالف لهذه الآية، فكيف يكون معصوماً ثم يتأثر من سم يهودية، ويكون ذلك من أسباب موته.

وذكر بعضهم أن النبي ﷺ لم يأكل السم أبداً، ولم يستسغه بفمه(١)، ذلك أن تعرضه للأذى مناف للعصمة.

ولا يصدر هذا القول إلا ممن لا علم له بوقائع سيرة النبي ﷺ وأحواله، فقد تعرض ﷺ للأذى من المشركين، وأوذي وأدمي وشج وجه، وأصابه المرض.

ثم إن العصمة التي ذكرها الله تعالى ثابتة لنبيه ﷺ، وهي واردة في سياقها كما ذكرتها الآية، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة المائدة:٦٧].

وكأن القائل بهذا القول يتهم كل علماء الاسلام–وليس البخاري فقط– بالسذاجة، والتغفيل، فكيف لهم أن يمرروا هذه الحادثة، ولا يتكلموا عليها بنقد مع أنها مخالفة لعصمة النبي ﷺ، فإما أنهم لا ينقدون المتن نقدا علمياً، أو أنهم يشكون في صحة عصمة النبي ﷺ، أو أن فهمهم للعصمة فهماً يختلف عن فهم هؤلاء الادعياء المتأخرون.

فإن عصمة النبي ﷺ لا تعني عصمته من الموت إلى أجل غير مسمًّى، بل إنه محفوظ من الموت أو القتل حتى يبلغ رسالة ربّه، وحتى يأتيه أجله المحتوم ﷺ، كما قال ربُّ العزة: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر:٣٠].

---

(١) ممن ذكر ذلك المدعو: اسلام بحيري في كلام له على قصة السحر مليء بالمغالطات والتضليل.

ويقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤].

وفي الحديث عن عائشة ﵂، زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ، مات وأبو بكر بالسنح، - قال: إسماعيل يعني بالعالية- فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر " فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال: فنشج الناس يبكون"[1].

وقد فسر العلماء -﵏- العصمة بعصمته في تبليغ الرسالة قال ابن عطية: "وهذه العصمة التي في الآية هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شيء من التبليغ كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه، وأما أقوال الكفار ونحوها فليست في الآية"[2].

قال ابن الجوزي: "فان قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسِرت رَباعيته، وبولغ في أذاه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسرِ وتلفِ الجملة، فأمّا عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة"[3].

---

(١) صحيح البخاري كتاب أصحاب النبي ﷺباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا» (٥/ ٦ رقم: ٣٦٦٧)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢١٨).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٦٩).

قال ابن كثير: "ومن عصمة الله -عز وجل- لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة. فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسا مطاعا كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرا، ثم قيض الله -عز وجل- له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم -وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سم اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه الله منه؛ ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها"(١).

ولذلك لم يؤثر السم عليه ﷺ في حينها مثل ما أثر في بشر بن البراء بن معرور، فقد فتك به السم في ساعته.

قال ابن عطية: "ولقد وفى سبحانه بما ضمن ومن أوفى منه وعداً وأصدق قيلاً! فلما أتم الدين وأرغم أنوف المشركين، أنفذ فيه السم الذي تناوله بخيبر قبل سنين فتوفاه شهيداً كما أحياه سعيداً"(٢).

وكما أخبر الله تعالى أن الانبياء يقع عليهم القتل، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨١].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة النساء:١٥٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ٢٣٢).

قال القاضي عياض: "قَد قَدَّمْنَا أنَّه ﷺ وَسَائِر الْأَنْبِيَاء وَالرُّسُل مِن البشر، وَأَنّ جسمه وظاهره خالص للبشر، يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام مَا يجوز عَلَى البشر وَهَذَا كله لَيْس بنقيصة فِيه لِأَنّ الشيء إِنَّمَا يسمى ناقصًا بالإضافة إِلَى مَا هُو أتم مِنْه وأكمل من نوعه، وَقَد كَتَب اللَّه تَعَالَى عَلَى أَهْل هَذِه الدار فِيهَا يحيون وفيها يموتون وَمِنْهَا يخرجون، وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فَقَد مرض ﷺ، واشتكى وأصابه الحر والقر، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسّه الضعف والكبر، وسقط فجحش شقه، وشجه الكفار، وكسروا رباعيته، وسقي السم، وسحر، وتداوى واحتجم، وتنشر وتعوذ، ثُمّ قضى نحبه، فتوفي ﷺ، ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلص من دَار الامْتِحَان وَالبَلْوَى، وَهَذِه سِمَات البَشَر، التي لا محيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه، فقتلوا قتلاً، ورموا في النار، ونشروا بالمناشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس، فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم، قال بعض المحققين وهذه الطواري والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهه غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم «**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**» وقال «**إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»"(١)

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٧٨).

قال ابن قتيبة: " وما ينكر أن يكون لبيد بن الأعصم -هذا اليهودي- سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قتلت اليهود قبله، زكريا بن آذن في جوف شجرة، قطعته قطعا بالمناشير.

وقتلت بعده ابنه يحي بقول بغي، واحتيالها في ذلك، وادعت "يعني اليهود" أنها قتلت المسيح وصلبته.

ولو لم يقل الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة النساء:١٥٧]. لم نعلم نحن، أن ذلك شبهه لأن اليهود أعداؤه، وهم يدعون ذلك، والنصارى أولياؤه وهم يقرون لهم به.

وقتلت الأنبياء، وطبختهم، وعذبتهم أنواع العذاب، ولو شاء الله جل وعز، لعصمهم منهم.

وقد سم رسول الله ﷺ في ذراع شاة مشوية، سمته يهودية، فلم يزل السم يعاده حتى مات، وقال ﷺ: "ما زالت أكلة خيبر تعادني، فهذا أوان انقطاع أبهري"(١).

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٦٣).

مسألة: هل قتل النبي ﷺ المرأة التي سمته وبعض أصحابه.

من الاشكالات التي جعلها البعض على هذا الحديث، ما ورد من الاحاديث في أن النبي ﷺ قتلها أو لا فقال: كما نود الإشارة إلى نقطة هامة جداً أنه بالرجوع للنصوص المختلفة في حديث الشاة سنجد أن الروايات في تلك الواقعة تباينت حول حال المرأة التي وضعت ذلك السم للنبي أَقُتِلت أم عُفِي عنها، وسنجد أن الروايات الأقوى تقول إن الرسول عفى عنها، فإذا ما قلنا إن الرسول وهو الذي لا ينطق عن الهوى أقر أن السم الذي وضعته المرأة هو السبب في قتله – على زعم البخاري –أفلم يكن هذا يستدعى من الصحابة إقامة القصاص على هذه المرأة اليهودية، ولكن الغريب أن ذلك لم يحدث ولم يكن له ذكر، وذلك لسببين فإما لهوان أمر قتل النبي المصطفى على أصحابه، وهذا من غير المعقول، وإما لأن هذه الرواية الضعيفة المنكرة هي كذب على رسول الله، وهذا هو الحق لأن الرسول لم يقتل بالسم لكى يقتص من قاتله."

انظر إلى هذا التجني بغير علم، ولا دليل، فيا هذا ما هي الروايات الأقوى التي رجحت بها، أم أنه كلام مرسل على عواهنه، فلا نظر ولا دليل إلا ما وافق هواك، واستدليت به على هدفك من الطعن في السنة، وأنظر أخي المبارك إلى هذه الكلمة: "**الروايات الاقوى**"، أي روايات التي رجحت بها؟

لا شيء!!! إلا أنه يريد الوصول إلى هدفه المبطن وهو التشكيك في الواقعة والتي بواسطتها يشكك في السنة النبوية كما هو دأبه.

ثم إن علماء الامة وشراح الحديث لم يغفلوا هذا الأمر، بل ذكروه ونبهوا عليه، فلو كلف نفسه عناء البحث قليلاً لوجد ما يشفي العليل، ويروي الغليل.

قال القاضي عياض: " اختلفت الآثار واختلف العلماء، هل قتلها رسول الله ﷺ أم لا؟ فذكر ها هنا ما تقدم، ومثله عن أبى هريرة من رواية ابن وهب وجابر، وذكر عنه فى رواية أبى سلمة أنه قتلها، وفى رواية ابن عباس: أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء، وكان أكل

منها فمات، فقتلوها، وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتلها[1].

ثم قال بعد ذلك: "وجه الجمع عندي – والله أعلم – أنه لم يقتلها أولاً لما فعلته من السم إذ اطلع عليه، وأشار عليه من حضر بقتلها فقال: " لا "، فلما مات بشر بن البراء من ذلك السم، وكان أكل منها أسلمها – كما قال في الحديث – لأوليائه فقتلوها، فهو قول من قال: قتلها. فلم يقتلها في حين [وقتلها فى حين] آخر – والله أعلم"[2].

وقال علي ملا قاري: "المشهور بين أصحاب الحديث، وأرباب السير والتواريخ أنه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أحد من الصحابة إلا بشر بن البراء بن معرور أكل منها لقمة ومات منها، وأمر النبي ﷺ بإحراق تلك الشاة أو دفنها تحت التراب، واختلفوا في أنه ﷺ أمر بقتل اليهودية أو عفا عنها، والأصح أنه عفا عنها لأجله ﷺ وأمر بقتلها لأجل قصاص ابن البراء"[3] .

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٩٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٩٤).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٩٠).

المطلب الثالث: الرد على شبهة كون الابهر هو الوتين، وهل يعني ذلك تكذيب النبي ' لنفسه.

كما تقدم في مبحث ألفاظ الحديث، فقد اختلف العلماء في تحديد المراد بالابهر هل هو الوتين، أم أعم من ذلك.

ومن أجمع الأقوال في ذلك قول ابن الاثير: "الأبْهَرُ عِرْقٌ مَنْشَؤُه مِن الرَّأْس ويَمْتَدُّ إلى القَدمِ ..."، وهو أن الوتين قد يعتبر مجرد جزء صغير من الأبهر، ولهذا السبب جاء في بعض القواميس أن الوتين قد يسمى أيضا بالأبهر، وذلك باعتبار أنه جزء من الأبهر، لكن العكس غير صحيح، أي أننا لا يمكننا دائما القول عن الأبهر أنه الوتين، فتنبه لهذا؟ وبعبارة أخرى نحن عندما نتكلم عن الأبهر، فلا يعني ذلك أننا لا نقصد إلا الوتين، ولكن يمكن القول عن الوتين أنه أبهر.

ومن وجه آخر، لو فرضنا أن النبي ﷺ قطع منه الوتين، يقول شيخ الاسلام: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٤٤-٤٧]، هذا بتقدير أن يتقوّل بعض الأقاويل، فكيف بمن يتقوَّل الرِّسَالَة كلها[(١)].

فيقال لمن أثار هذه الشبهة من النصارى، وغيرهم ممن أخذته ردة الفعل من المسلمين، فذهب ليدافع عن النبي ﷺ بإنكار ما ثبت، وهل أنتم ترون أن محمدا صلى الله عليه وسلم تقوّل على الله "بعض" الأقاويل فقط أم ترون أنه تقوّل الرسالة كلها ؟!

أنتم لا تؤمنون بأنه نبي أصلا، وبالتالي ترون أنه تقوّل الرسالة كلها فيكون في زعمكم-الكاذب- تقوّل على الله الكثير والكثير وليس بعضه فقط!! القرآن وما قاله مما روي عنه ولم يروى عنه من غير القرآن، وهذا يستلزم : إما أن تختلف العقوبة كمّا وكيفا! وإما أن تكون العقوبة قبل حادثة السم بسنين كثيرة (أي في بداية الدعوة)! وكلاهما لم يحدث .. وبالتالي لا توجد شبهة.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٩٧).

فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٤٤-٤٧]، يلزم منه التعجيل بعقاب النبي الكاذب بقطع وتينه، أي يجب أن تكون العقوبة في بداية تقوّله على الله حيث لا يزال لم يتقول على الله إلا بعض الأقاويل فقط، أما إذا تأخرت العقوبة فيجب أن تضاعف، والعقوبة بقطع الوتين لا تضاعف إلا بأن تزيد كمّا وتختلف كيفا ..

وخلاصة القول: عقوبة قطع الوتين هي لمن يتقول بعض الأقاويل وليس لمن يتقول الرسالة كلها، فمن يسرق بعض المال القليل من الخزنة ليس كمن يسرق كل الخزنة!!

والنبي ﷺ بقي (٢٣) سنة وهو يدعو إلى الله ﷻ، وبلغ عن الله الرسالة كلها، وجاءت حادثة السم متأخرة.

بل وبعد حادثة السم لم يتوفى النبي ﷺ حينها، بل بقي بعد ذلك أكثر من ثلاث سنوات ولم يتوفاه الله إلا بعد أن نزلت عليه بعرفة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

ونزل عليه في ثاني أيام التشريق ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر:١-٣].

كما أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٤٤-٤٧] فيه عقوبتين متتابعتين.

العقوبة الأولى: الأخذ باليمين، أي أخذ النبي الكاذب بالقوة أو أخذه بيمينه والبطش به(١).

العقوبة الثانية : قطع الوتين.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٩٨).

فأين ما يدل على حدوث العقوبة الأولى على النبي ﷺ قبل وفاته، فضلا عن العقوبة الثانية كما يزعم النصارى كذبا ؟ بل في السنوات الأخيرة قبل وفاته ﷺ تحقق له أعظم النصر، تحقق له ما لم يتحقق في كل السنين السابقة التي قضاها في الدعوة إلى الله ﷻ، فتمت في السنوات الأخيرة فتوحات كثيرة وأعظمها فتح مكة .. وجاءته بعد فتح مكة وبعد حادثة السم الوفود الكثيرة جداً من كل أنحاء جزيرة العرب ليعلنوا توحيدهم وإسلامهم لله، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً وكانت في العام التاسع (أي قبل حوالي سنتين من وفاته ﷺ) السيادة الكاملة للإسلام على كافة أنحاء الجزيرة العربية(١).

---

(١) ينظر: http://www.ebnmaryam.com/vb/t١٢٧٣٣٤.html.

المطلب الرابع: هل أكَلَ النبيُ ' من لحم الشاة في خيبر،وهل تأثر بالسم، وهل كان سبب لموته.

جاءت الاحاديث في كون النبي ﷺ أكل من الشاة على ثلاثة أقسام، قسم يؤكد أن النبي ﷺ أكل من الشاة، وقسم يذكر أن النبي ﷺ لفظها من فمه، وقسم لم يصرح بشيء من ذلك.

قال ابن القيم: "وقد اختلف: هل أكل النبي ﷺ منها أو لم يأكل؟ وأكثر الروايات أنه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين"(١).

ولذلك احتجم النبي ﷺ، بسبب ما أصابه من ذلك السم، قال ابن القيم: "ولما احتجم النبي ﷺ احتجم في الكاهل، وهو أقرب المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب، فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا، بل بقي أثرها مع ضعفه"(٢).

ومع أن النبي ﷺ أكل منها، ثم إنه تأثر بها ﷺ قبل وفاته، لكن هل كان موت النبي ﷺ بسببها، هذا محل خلاف بين العلماء، وإن قلنا بأن موت النبي ﷺ لم يكن بانقطاع الأبهر، لكنه ﷺ تأثر بذلك السم قبل وفاته، فلا يحملنا ذلك على تضعيف الحديث، ولا يحملنا ما ينعق به أعداء الاسلام من طعون وشبهات لتكذيب ما ثبت وصح عن نبينا ﷺ، ذلك أنهم لن يرضيهم من النبي ﷺ شيء، وقد بين الله تعالى لنا مبدأ تعاملهم مع المسلمين قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، فكيف يأتي بعد ذلك من يريد إرضائهم بنفي ما ثبت لدينا وصح، أهو أصدق أم لله تعالى، الذي أخبر أنهم لن يرضوا عنا أبدا ولو تنازلنا عن جل مسلمات ديننا، إلا باتباع دينهم، وذلك ما لن يكون أبداً، والنتيجة أنهم لن يرضوا عنا أبداً.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٩٨).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١١٣).

بل إن في سلامته ﷺ من السم الذي أهلك غيره بيان لعصمة الله تعلى له حتى يبلغ رسالته: قال النووي: "وقوله ﷺ «**ما كان الله ليسلطك على ذاك أو قال علي**» فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم كما قال الله: ﴿**وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [سورة المائدة:٦٧]. وهي معجزة لرسول الله ﷺ، في سلامته من السم المهلك لغيره وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة وكلام عضو منه له فقد جاء في غير مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الذراع تخبرني أنها مسمومة"(١).

يقول الشيخ علي الشحود في معرض رده على المشككين في نبوة النبي ﷺ: اعترض النصارى على افتخار المسلمين بأن الله قد جمع للنبي الكريم ﷺ الشهادة إلى سائر فضائله فمات متأثراً بسم الشاة التي أهدته إياها امرأة يهودية يوم خيبر، على أساس أن ذلك يتنافى مع عصمته -ﷺ- و ذلك يرجع إلى جهلهم بالمعاني الشرعية فعصمة رسول الله قد تمت كما وعده ربه عز و جل لأن هذه العصمة هدفها تمكينه من تبليغ الرسالة و هي مقترنة بها كما قال تعالى ﴿ ۞ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧**﴾ [سورة المائدة:٦٧].

وذلك قد حدث بنعمة الله، فإذا ما بلَّغ الرسول الأمين الرسالة فهو بلا شك عائدٌ إلى ربه، و أفضل الموت ما كان في سبيل الله و قد قال رسول الله ﷺ : «**تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا**

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٩).

عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»[1] لما علم من أجر الشهيد. فقدّر الله له هذه الوفاة الطيبة لتكتمل فضائله عليه السلام، و الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠].

ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤].

ويقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٥٧].

وقصة شاة خيبر هي من شمائل نبوته و دلائل عصمته لو كانوا يعلمون، فقد روى ابن كثير عن ابن إسحاق قال: "لما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له امرأة يهودية شاة مصلية و قد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع فأكثرت من السم فيها، ثم سممت الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة لم يسغها و معه بشر ابن براءِ قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها و أما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: «**إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم**» –و هذا من معجزاته عليه السلام– ثم دعا بها فاعترفت، فقال: «**ما حملكي على ذلك؟**» قالت بلغني ما لم يخف عليك فقلت إن كان كذّابا استرحنا منه و إن كان نبيا فسيُخبَر" فتجاوز عنها رسول الله ﷺ و مات بشر من أكلته، أما رسول الله فلم يمت إلا بعد هذه الواقعة بثلاث سنوات كاملة كانت هذه السنوات الثلاث من أهم مراحل الدعوة النبوية ففيها فَتحت مكة و دخل الناس فى دين الله أفواجا و حج النبي ﷺ حجة الوداع و اكتملت الشريعة.

وقد جاءت الإرهاصات التي تشير إلى قرب أجل النبي ﷺ قبل مرض موته، و بينما كان في أوج فتوحاته و انتصاراته و منها ما جاء في القران الكريم من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [سورة المائدة: ٣].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الايمان باب الجهاد من الإيمان (١/ ١٦ رقم: ٣٦)، صحيح مسلم كتاب الامارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٣/ ١٤٩٥ رقم: ١٨٧٦)،

ولم ينزل بعد هذه الآية أي من آيات الأحكام، و لا يقولن جاهل أن سورة المائدة فيها أحكام في مواضع لاحقة عن هذه الآية لأن ترتيب كان وفق ما يقرره الوحى فكان رسول الله يقول: «**ضعوا هذه الأية على رأس المائة من سورة كذا**» و«**ضعوا تلك الأية على رأس المائتين من سورة كذا**» و كذلك من الإرهاصات التي جاءت في القران الكريم قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [سورة النصر:١-٣].

فكانت هذه السورة إشارة رقيقة إلى أنَّ رسول الله ﷺ أدى الرسالة، و بلغ الأمانة، و نصح للأمة، و عليه الأن أن يستعد للرحيل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام، فكان رسول الله ﷺ لا ينقطع عن القول فى ركوعه: «**سبحانك اللهم ربنا و بحمدك, اللهم اغفر لي**» في كل صلواته عليه السلام.

أيضا ما رواه البخاري عن ابن عباس قال: "كان رسوا الله ﷺ أجود الناس و كان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القران فكان جبريل يقرأ و النبي يسمع حينا و النبي يقرأ و جبريل يسمع حينا حتى كان العام الذى توفى فيه الرسول فعارضه جبريل بالقران مرتين لذا قال رسول الله ﷺ: «**ما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى**»(١) و قد شهد العرضة الأخيرة أحد مشاهير كتاب الوحى و هو زيد بن ثابت الأنصاري.

ومنها ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع من البقيع وجدني وأنا صداعا و انا أقول:- وارأساه! قال ﷺ: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه! ثم قال: ما بالك لو مت قبلي فقمت عليك و كفنتك و صليت عليك و دفنتك؟ فقلت: فكأنى بك و الله لو فعلت ذلك فرجعت إلى بيتي فعرَست ببعض نسائك(٢).

---

(١)صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام (٤/ ٢٠٣ رقم: ٣٦٢٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (٤/ ١٩٠٥ رقم: ٢٤٥٠).

(٢) صحيح البخاري كتاب المرضى باب قول المريض: " إني وجع، أو وارأساه، أو اشتد بي الوجع (٧/ ١١٩ رقم: ٥٦٦٦).

وعن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير**» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «**اللهم الرفيق الأعلى**» قالت عائشة: قلت: إذا لا يختارنا. قالت عائشة: وعرفت الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح في قوله: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير**» قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «**اللهم الرفيق الأعلى**»(١).

ونقول للمتنطعين الذين يقولون أن عصمة رسول الله ﷺ ليست معجزة و أن أي إنسان يمكنه ادعاؤها، فأقول لهم: و هل كان الرسول ﷺ كأي إنسان؟ إنه باعتراف مؤرخي الشرق و الغرب أعظم شخصية عرفها التاريخ، وأعظم قائد ديني و سياسي، وأعداؤه كانوا أكثر من أن يحصوا من اليهود و النصارى والوثنيين والمجوس والمنافقين، وكلهم حاول اغتياله و القضاء على دعوته المباركة، و كان الرسول العظيم ﷺ يحرسه الصحبة من كيد الكافرين فلما أنزل الله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [سورة المائدة:٦٧].

قال النبي ﷺ: «**أيها الناس انصرفوا عنا فقد حرسنا الله**»(٢) فصرف الحراس في أشد مراحل الخطر والتهديد فيا له من نبي يتوكل على ربه الحفيظ الذى هو على كل شيء وكيل.

ونوجه السؤال إلى النصارى ونقول قد جاء فى كتابكم: "إِذَا ظَهَرَ بَيْنَكُمْ نَبِيٌّ أَوْ صَاحِبُ أَحْلاَمٍ، وَتَنَبَّأَ بِوُقُوعِ آيَةٍ أَوْ أُعْجُوبَةٍ. ٢فَتَحَقَّقَتْ تِلْكَ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ الَّتِي تَنَبَّأَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ نَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا وَنَعْبُدْهَا. ٣فَلاَ تُصْغُوا إِلَى كَلاَمِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ صَاحِبِ الأَحْلاَمِ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ يُجَرِّبُكُمْ لِيَرَى إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. . أَمَّا ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ))" التثنية ١٣: ١-٥"

---

(١) صحيح البخاري في مواضع منها كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٦/ ١٠ رقم: ٤٤٣٧)، صحيح مسلم-واللفظ له- كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة رضي الله عنها (٤/ ١٨٩٤ رقم: ٢٤٤٤).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٥١ رقم: ٣٠٤٦).

فكيف الحال و قد قتل المسيح كما تزعمون بعد بدء دعوته بعام و نصف أو ثلاثة أعوام فقط على أحد الأقوال و بذلك يصدق فيه ذلك النص حرفياً و مسألة قيام المسيح لم يشهدها أحد من اليهود (الذين كان يُفترض أن يُقدم لهم الأية) حتى تحتجوا بها!!

مما سبق من شبهات نجد أنها تعكس حقداً أصيلاً على محمد ﷺ فإذا ما تزوج اعترضوا و إذا ما طلق اعترضوا !! بل و اتخذوا هذه الاعتراضات الواهية ذريعةً ليكفروا بربهم العظيم، و نبيه الكريم صلى ﷺ و حقيقة الأمر أن رسول الله ﷺ حتى لو لم يكن قد تزوج على الإطلاق، كانوا سيكفرون به لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢٠].

المطلب الخامس: تأثير السم بعد ثلاث سنوات.

جاء في الصحيحين من حديث أنس ﷺ: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها، قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

وفي حديث عائشة ﵂ « **يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر**»(١).

وعندما أكل النبي ﷺ من تلك اللحمة المسمومة، وسلمه الله من الموت وقتها.

قال النووي: "مازلت أعرفها أي العلامة كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره"(٢).

وقد بحث الدكتور مجاهد أبو المجد(٣)، هذا الموضوع من ناحية علمية تجريبية، ووجد أن النبي ﷺ سم بسمٍ خاص يسمى الزرنيخ، وتأثير هذا السم يستمر لفترة طويلة وله أعراض على الجسم تتشابه مع الاعراض التي ذكرها أنس ﵁ عن النبي ﷺ وهذا ملخص بحثه:

بعد استعراضه لقصة تسمم النبي ﷺ من الشاة قال:

من استعراض القصة في كتب السيرة تبرز لنا عدة أسئلة؟

السؤال الأول:

هل نستطيع أن نعرف نوع السم الذي وضعته زينب بنت الحارث للرسول ﷺ في الشاة؟

هذا السم:

١- يستخدم من آلاف السنين ومعروف في الجزيرة العربية.

---

(١) تقدم تخريجهما.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٩).

(٣) دكتوراه الأمراض الباطنة . أستاذ الباطنة والسكر . والغدد والكلى . كلية طب المنصورة، رابط البحث: www.aleajaz.org

٢- يظهر أثره في اللهوات كما قال أنس رضي الله عنه.

إذن ما هو السم الذي استخدم من آلاف السنين وتظهر علامته على اللهوات؟

ثم ذكر معنى اللهاة وموقعها، وفسر بعد ذلك تأثير السم:

وقوله «**مازلت أعرفها**» أي العلامة كأنه بقى للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

من المعلوم طبياً في علم السموم أن السم الذي يترك أثراً على أصل الحنك واللثة هو المواد الثقيلة (Heavy metals) مثل الزرنيخ (Arsenic) والقصدير .(Lead)

فهل استخدم الزرنيخ أو القصدير (Arsenic - Lead) منذ سنوات عديدة كسم زعاف — وهل يترك كلاهما أثراً على اللهوات؟

في Human Health fact sheet :

٢٠٠١ANL, November

Arsenic has been recognized from ancient times be poisonous.

الزرنيخ منذ العصور القديمة يستخدم كمادة سامة.

هل يترك القصدير أو الزرنيخ أثراً على اللهوات؟

١٩٦٩, ٧-٣٣٦) ٥٦٦٦(٣* Brit. Med. J

(Lead poisoning in soldiers in Hong Kong)

clinical finding include blue lines on the gum.

ظهور خط أزرق في اللثة بالفم نتيجة التسمم بالقصدير.

* Journal of the society of Occupational Medicine,

١٩٩٠ references, ٢٨, ١٥٢-١٤٩ pages ٤, No. ٤٠Vol

Arsenic trioxide could cause gingival ulceration and gum discoloration.

الزرنيخ يؤدى إلى التهاب وتغير في لون اللثة.

يتضح بعد هذا التفصيل أن القصدير والزرنيخ تؤدى إلى تغير في لون اللثة واللهاة كما تؤدى إلى التهابات بالفم واللثة واللهاة.

بعد هذا الشرح نستنتج الآتي:

١-من المرجح أن يكون الزرنيخ أو القصدير أو كليهما قد استخدم في تسميم الشاة المصلية التي قدمت للرسول ﷺ بخيبر.

٢- أن الرسول ﷺ قد تناول السم فعلاً.

السؤال الثاني:

هل يؤثر التسمم بالزرنيخ أو القصدير على الشريان الأبهر؟

وبعد إيراده لأدلة علمية وروابط لبحوث عالمية تؤيد تأثير القصدير على الابهر.

أي أن القصدير أيضاً يتجمع بنسبة عالية في الشريان الأبهر.

ومن هذا يمكننا أن نستنتج بوضوح أن كلاً من القصدير والزرنيخ يتركزان بكمية كبيرة في الشريان الأبهر.

السؤال الثالث:

هل تتشابه أعراض المرض الذي توفى عنه ﷺ مع انقطاع الأبهر؟

بدأ المرض بالنبي ﷺ في مطلع شهر ربيع الأول وبدأ بأن اشتكى بوجع في رأسه — قالت عائشة رضي الله عنها رجع عليّ رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول وارأساه قال "بل أنا وارأساه": قال: «**ما ضرك لو مت قبلي فغسّلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك**»[(١)].

وكانت عائشة رضي الله عنها تحدث أن النبي ﷺ قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه: «**هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس**»[(٢)].

قالت عائشة ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ"[(١)].

---

(١) مسند أحمد (٤٣/ ٨١ رقم: ٢٥٩٠٨).

(٢) صحيح البخاري في مواضع منها كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٦/ ١١ رقم: ٤٤٤٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكا شديداً، فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكا شديدا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أجل**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**»(٢).

عن أنس، قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس، مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن، قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب"(٣).

يقول العباس رضى الله عنه: "وكنت إذا لمسته ضربتني الحمى"

ومن استعراض هذه الروايات يتضح لنا الآتي:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصيب بحمى وارتفاع شديد في درجة الحرارة.
٢- أنه كان يوعك وعكاً شديداً ويتألم ألماً شديداً.
٣- كان يتصبب عرقاً من شدة ارتفاع درجة الحرارة.
٤- كان صلى الله عليه وسلم يغشى عليه لما ثقل عليه المرض.

العلامات والأعراض الإكلينيكية لانقطاع الأبهر:

---

(١) صحيح البخاري كتاب المرضى باب شدة المرض (٧/ ١١٥ رقم: ٥٦٤٦)، صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٤/ ١٩٩٠ رقم: ٢٥٧٠).

(٢) صحيح البخاري في مواضع منها كتاب المرضى باب وضع اليد على المريض (٧/ ١١٨ رقم: ٥٦٦٠)، صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها(٤/ ١٩٩١ رقم: ٢٥٧١).

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٦/ ١٥ رقم: ٤٤٦٢).

Signs and symptoms of Aortic dissection:

١- chest pain. آلام في الصدر

sudden, severe, stabbing tearing حادة - شديدة

٢- decreased movement. صعوبة الحركة

٣- pallor. اصفرار الوجه

٤- profuse sweating. عرق شديد

-لاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوعك وعكاً شديداً.

-وكان يحمله العباس وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهما.

الخلاصة:

أن أعراض مرض وفاة النبي ﷺ تتشابه مع أعراض انقطاع الأبهر إلى حد كبير.

السؤال الرابع:

أ- هل عرف النبي صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله؟

ب- منذ متى عرف مرض انقطاع الأبهر؟

ج- من الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المرض؟

بشر النبي ﷺ باقتراب أجله في آيات عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأنبياء:٣٤].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [سورة النصر:١-٣].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال "أنزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ على رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق وعرف أنه الوداع "(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه سأل الصحابة عن قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ قالوا فتح المدائن والقصور قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال "أجل أو مثل ضرب لمحمد ﷺ ينعي له نفسه"(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**مرحباً يا بنيتي**» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت فقلت لها لم تبكى؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت فقالت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي سر النبي ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت أسر إلي: «**أن جبريل كان يعارضني القرآن مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي ، وأنك أول أهل بيتي لحاقاً بي**» فبكيت فقال «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين**» فضحكت لذلك"(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله" قال "فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه وكان أبو بكر آنذاك أعلمنا**»(٤).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٤٧ رقم: ٩٦٨٢).

(٢) صحيح البخاري باب قوله: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ [النصر: ٢] (٦/ ١٧٩ رقم: ٤٩٦٩)

(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام (٤/ ٢٠٣ رقم: ٣٦٢٣)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل فاطمة رضي الله عنها (٤/ ١٩٠٤ رقم: ٢٤٥٠).

(٤) صحيح البخاري كتاب أصحاب النبي ﷺباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر» (٥/ ٤ رقم: ٣٦٥٤)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل النبي ﷺ (٤/ ١٨٥٤ رقم: ٢٣٨٢).

وتقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير**» فلما اشتكى ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه فلما أفاق شخص ببصره نحو سقف البيت ثم قال «**اللهم الرفيق الأعلى**» فقلت إذاً لا يجاورنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح"(١).

وهكذا يتضح لنا في نهاية هذا المبحث أن الرسول كان يعلم قرب أجله، وأنه خيّر بين الخلد في الدنيا ولقاء الله، فاختار ﷺ لقاء ربه، وأن الله أخبره بأن السم الذي دس له في شاة زينب بنت الحارث اليهودية قد سبب انقطاع الأبهر.

الخلاصة:

١- أن الله حقق للنبي ﷺ معجزة مادية بأن جعل الذراع يخبر النبي ﷺ بأنه مسموم.

٢- أن الله حقق للنبي ﷺ معجزة علمية شاهدة على صدق نبوته، وعلى أنه لا ينطق عن الهوى.

الإعجاز العلمي في الحديث:

١ -معرفة الرسول ﷺ لمرض انقطاع الأبهر بأكثر من ألف عام لمعرفة العلماء لهذا المرض.

٢ -إخبار الرسول ﷺ أن التسمم يسبب مرضا للأبهر وهذا لم يعرف إلا حديثاً ومازال لا يذكر في معظم كتب أمراض القلب.

٣ -أن الله أخبر نبيه ﷺ بقرب أجله وأخبره بسبب الوفاة إذ لم يعرف هذا المرض بصورة قاطعة إلا في القرن التاسع عشر.

٤ -احتجام الرسول ﷺ بعد أن طعم السم من ذراع الشاة يحتاج إلى بحث عن تأثير الحجامة على علاج بعض السموم.أ.هـ.

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ (٦/ ١٥ رقم: ٤٤٦٣).

يقول الزرقاني في "شرح المواهب اللدنية": "ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته، لأنهم قالوا: "إن كان نبياً لم يضره، وإن كان مَلِكاً استرحنا منه"، فلما لم يُؤَثِّر فيه تيقَّنوا نبوته حتى قيل: إن اليهودية أسلمت، ثم نقض عليه بعد ثلاث سنوات لإكرامه بالشهادة.

ومما سبق يُعْلَمُ أن الحُمَّى التي أصابته ﷺ قبل موته كانت من أثر السُّم الذي تناوله بخيبر، فلم يضره ذلك السُّم طول حياته، ولم يؤثر عليه في ذلك الوقت –غير ما أثر بلَهَوَاتِهِ وغير ما كان يعاوده منه في أوقات– فقاد الجيوش بعد ذلك ودخل المعارك الكبرى وانتصر فيها، وفاوض الأعداء، واستقبل الوفود، ومارس حياته العادية، حتى وافاه الأجل المحتوم بصورة طبيعية، فأحدث الله تعالى ضرر ذلك السُّم في النبي ﷺ فتوفي بسببه، كما قال ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «**مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الأَكْلَةِ الَّتِى أَكَلْت بِخَيْبَر فهذا أَوَان قَطَعَتْ أَبْهَرِى**». فجمع الله لنبيِّهِ بين النبوة والشهادة؛ مبالغةً في الترفيع والكرامة، وعلو المنزلة عند الله تعالى، ولينال مَقَام الشهداء مع مَقَام النبوة؛ ولذلك كان ابن مسعود والزهريُّ وغيرهما يرون أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً من ذلك السُّم، والله أعلم"(١).

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٩٤).

الخلاصة، وأهم النتائج:

الخلاصة:

- حديث عائشة رضي الله عنها ثابت عن النبي ﷺ، أورده البخاري معلقاً، ووصله الحاكم، والاسماعيلي، وابن حجر.
- يشهد لحديث عائشة رضي الله عنها حديث أم مبشر، وحديث أنس رضي الله عنه، وشواهد أخرى عن أبي هريرة، وابن عباس، كل ذلك يؤكد صحة حديث عائشة رضي الله عنها وثبوتها.
- ما أورده البعض من إشكالات وشبه على حديث عائشة وأم مبشر وأنس رضي الله عنهم، لا يثبت بحال، ذلك أن اعتمادهم على حجج واهية، لا تصلح أن يعل بها الحديث، كما تقدم.
- جاء في الأحاديث الاخرى ما يؤيد تأثر النبي ﷺ من السم الذي كان في الشاة، وذلك باحتجامه، ثم تغير لون لهاته ﷺ، ومعاودة ألم السم بين فترة وأخرى وقبل موته ﷺ.
- لا تعارض بين الحديث وبين عصمة النبي ﷺ، فالعصمة لا تمنع تعرضه ﷺ للأذى، فقد شج وجه وأدميت قدماه، وسحر، وسم، ووضع السلى على ظهره، فالعصمة في الآية مفهومة في سياقها، وذلك لتبليغ الرسالة.
- اختلف العلماء في تحديد الابهر وهل هو الوتين، والراجح هو ما ذكره ابن الأثير أن الوتين جزء من الأبهر.
- لا حجة لمن قال أن النبي ﷺ مات عقوبة من الله بقطع الوتين، لأمور:
  - ✓ هناك فرق بين الوتين والأبهر كما تقدم في كلام ابن الاثير.
  - ✓ أنه لو حصل وأن كذب النبي على ربه فإن عقوبته تكون عاجله وهذا ما لم يحصل.
  - ✓ يقال لمن زعم ذلك-تنزلا- أن النبي ﷺ ظل يدعوا إلى الله (٢٣) سنة، أليس الاجدر لو كان كما تدعون لعاجله الله بالعقوبة.
  - ✓ الوعيد من الله بعذابين، ولم يتحقق أي أحد منهما في النبي ﷺ.

✓ كان تأثر النبي ﷺ بالسم قبل مرضه، وليس بالضرورة أنه ﷺ مات بسببه، بل هو أحد الاسباب.

- أجمع العلماء على أن النبي ﷺ مضغ من لحم الشاة، لكن هل ازدراها، هذا محل خلاف، وقد رجح ابن القيم أن النبي ﷺ أكل منها.
- ثبت في العلم الحديث بما لا مجال للشك أن هناك أنواعاً من السموم لها تأثير على طويل الأمد على الجسد، وتعتري الانسان منه الاسقام بين الفينة والاخرى.
- عفوا النبي ﷺ عن المرأة التي سمة الشاة، ثم إنه دفها إلى أهل بشر بن البراء بعد أن مات بسبب السم فقتلت به.
- لا مجال للتشكيك في هذه الواقعة، ذلك أنها ثابتة نقلاً وجائزة عقلاً، ولا تصادم مع العلم التجريبي المعاصر.
- قصد كثير ممن يشكك في هذا الحديث هو التشكيك في السنة النبوية كاملاً وإنما يجعلوا بعض الاحاديث مثل المدخل.